المواد المستعملة

في كتابة الكُتب بالخط العربي

في العصر العباسي

سهيلة الجبورى

١ ـ الادوات التى يكتب بوساطتها :

يمكن تقسيمها الى قسمين :

١ ـ الاقلام

٢ ـ الاحبار

وسمي القلم قلما اما لاستقامته أو لانه مأخوذ من (القلاّم) وهو شجر رخو ، او لقلم رأسه [١] والقلم قبل بريه يسمى قصبة .

اما طول القلم وامساكه وحالاته فقال الاستاذ ابن مقله : « أحسن قدود القلم ان لا يتجاوز به الشبر اكثر من جلفته » [٢]

وقال ابراهيم بن العباس الصولى الكاتب : أطل خرطوم قلمك فقال أله خرطوم ؟ قال : نعم وانشد :

كأن انوف الطير فى عرصاتها خراطيم اقلام تخط وتعجم [٣]

وقال الزيات : خير الاقلام ما استحكم نضجه وخف برزه ، وبلغ اشده واستوى . [٤]

واما حاله فى الصلابة والرخاوه فانه تابع للصحيفة . لانها اذا كانت لينة احتاجت ان يكون فى الانبوب لين وفى قشره صلابة . واذا كانت صلبة احتاجت ان يكون فى الانبوب يبس وصلابة وذلك ان حاجته من

---

(١) ص ٨٧ ادب الكتاب للصولى .

(٢) ص ٢١٧ ج ٥ تاريخ بغداد . الجلفة : فتحة رأس القلم .

(٣) ص ٤٥٩ ج ٢ صبح الاعشى للقلقشندى .

(٤) ص ٤٥٣ ج ٣ صبح الاعشى للقلقشندى .

المداد فى الصحيفة الرخوة اكثر من حاجته اليه فى الصحيفة الصلبة . [٥]

وقال شيخ هذه الصناعة عماد الدين الشـــيرازى : احمد الاقلام ما توسطت حالاته فى الطول والقصر والغلظ والرقة فان الرقيق الضئيل تجتمع عليه الانامل فيبقى مائلا ما بين الثلاث ، والغليظ المفرط لا تحمله الانامل[٦] .

اما قط القلم او بريه فكان على انواع كما قال ابن العفيف منها المحرف والمستوى والقائم والمصوب ، واجودها المحرفة المعتدلة التحريف ، وافسدها المستوى لانه أقل تصرفا من المحرف[٧] .

وقال ابن مقلة لاخيه : اذا قططت القلم فلا تقطه الا على قط املس صلب غير مثلم ولا خشن لئلا يتشظن القلم . واستحد السكين حدا ولتكن ماضية جدا فانها اذا كانت كالة جاء الخط رديئا مضطربا ، وتضجع السكين قليلا اذا عزمت على القط ولا تنصبها نصبا . [٨]

وقد اتخذ الكتاب للقلم ممسحة (تسمى الدفتر) وهى آلة تتخذ من خرق متراكمة ذات وجهين ملونين من صوف او حرير من نفيس الاقمشة يمسح القلم بباطنها بعد الكتابة به

وقد قيل فى القلم وبريه اقوال كثيرة فى العصر العباسى منها : قول اسماعيل بن صبيح الثقفى : عقول الرجال تحت أسنان أقلامها .

وقال أحمد بن يوسف كاتب المأمون : ما عبرات الغوانى فى خدودهن باحسن من عبرات الاقلام فى بطون الـكتب .

اما ما قيل فى بريه فكثير ، منه قول ابن مقلة : ملاك الخط حسن البراية ، ومن وعى قبله كثرة اجناس قط الاقلام كان مقتدرا على الخط ولا يتعلم ذلك الا عاقل . [٩]

---

(٥) ص ٤٥٥ ج ٢ صبح الاعشى للقلقشندى .
(٦) ص ٤٥٤ ج ٢ صبح الاعشى للقلقشندى .
(٧) ص ٧٩ حكمة الاشراق مرتضى الزبيدى .
(٨) ص ٤٦٣ ج ٢ صبح لاعشى للقلقشندى .
(٩) ص ٧٨ حكمة الاشراق مرتضى الزبيدى .

أما الحبر فقد سمى مدادا لانه يمد القلم أى يعينه ويسمى (النقس) ايضا وجمعه أنقاس واما الحبر فهو أثر المداد فى القرطاس[١٠] .

وقد تفنن فى صنع الاحبار فى العصر العباسى وذلك لما كان لكتابه من شأن عظيم .

وقد اخبرنى السيد الفاضل الخطاط هاشم عما أخذه عن اساتذته من معلومات قيمة فى صنع الاحبار فى العصر العباسى خاصة فى زمن الخطاط الشهير ابن البواب (قلم الله فى أرضه)[١١] .

أما أهم تلك الانواع فـ :

١ ـ حبر يؤخذ من العفص وذلك بمزج مسحوقه الناعم بماء الورد ووضعه فى الشمس لمدة (٤٠) يوما وبعدها يصفى ويكتب به

٢ ـ حبر الرز : يحمص الرز على النار وذلك بعد غسله وتيبيسه حتى يكون لونه أسود ثم يدق حتى يكون مسحوقا ناعما ثم يضاف له مقدار من الماء وكمية من الصمغ العربى بنسبة ٣٠٪ ويكون لون الحبر بنيا غامقا .

٣ ـ حبر زيت الزيتون : يحرق الزيتون ويؤخذ النيلج الناتج من حرقه ويمزج بالصمغ العربى بنسبة ٤٠٪ ثم يخلط بالماء وبعد مضى اسبوع يصبح الخليط حبرا ذا لون مقارب للاسود وله بريق ولمعان .

٤ ـ حبر البصل : لصناعته طريقتان :ـ

أ ـ يؤخذ عصير البصل ويكتب به وعند القراءة تحمى الورقة على النار فتظهر الكتابة واضحة ويستعمل هذا للرسائل السرية .

ب ـ أما الطريقة الثانية وهى بدق قشور البصل الاحمر بصورة متواصلة حتى يكون كتلة متراصة تباع على هذا الشكل للخطاطين . فاذا أراد الخطاط الكتابة بها وضعها على النار وأضاف اليها الماء حتى تذوب ويشرع

---

(١٠) ص ١٠٤ ج ٢ ادب الكتاب للصولى . وسمى الحبر حبرا لتحسينه الخط من قولهم : جدت الشىء تحبيرا وجرته حبرا زينته وحسنته . وفى الحديث (يخرج من النار رجل حسن الحبر والسير) .

(١١) توفى ابن البواب فى بغداد سنة ٤١٣هـ .

بالكتابة به ويكون لونه بنيا ولا يزال هذا الحبر مستعملا فى عصرنا هذا وقد رأيت لوحة جميلة غاية في الدقة وحسن الخط عند الخطاط القدير هاشم اذ كانت من صنع قلمه •

٥ ـ حبر الباقلاء : تنقع الباقلاء لمدة ٤٠ يوما فى الشمس ويؤخذ ماؤها ويضاف له من الصمغ العربى بنسبة ٢٠٪ •

٦ ـ حبر يصنع باضافة الحديد الى ماء الورد ويوضع فى الشمس لمدة شهر ليتأكسد ويجف ماؤه ثم يخلط بالماء ويصفى بعد ذلك لاخراج المواد الحديدية ويضاف للمادة المصفاة الصمغ العربى بنسبة ٢٠٪ •

٧ ـ حبر الذهب : لقد رأيت هذا الحبر وكيفية صنعه عند الخطاط الاستاذ هاشم •

يصنع هذا الحبر بخلط صحائف رقيقة جدا من الذهب مع الصمغ العربى بنسب معينة وذلك لاذابة ذرات الذهب ويخلط فى اناء بأصبع السبابة ثم تضاف له كمية من الماء لكى يطفو الصمغ العربى ويترسب الذهب في قعر اناء ويترك لمدة (٢٤) ساعة • ثم يسكب ذلك الماء ويوضع غيره حتى يتأكد الصانع من خلو الذهب من الصمغ العربى ثم يضاف للذهب المصفى هذا غرى السمك الجاف المذاب بالماء الساخن وبذلك ينتج الحبر الذى تزوق به الكتب •

وقد ذكر القلقشندى كيفية صناعة حبر الذهب وقال انه يضاف للذهب شراب الليمون وقليل من الزعفران[١٢] •

وقال الوزير بن مقله :ـ أجود المداد ما اتخذ من سخام النفط وبعد أن ينخل ويصفى يصب عليه الماء ويضاف اليه العسل والملح والصمغ ومقدار من العفص ثم يوضع فوق نار غير حادة حتى يثخن كالطين وأحيانا يوضع معه الكافور لتطيب رائحته والصبر لمنع وقوع الذباب عليه • وقيل فى المداد كثير ومن ذلك قول الشاعر :

---

(١٢) انظر ص ٤٦٦ ج ٢ صبح الاعشى •

ربع الكتابة فى سواد مدادها
والربع حسن صناعة الكتاب
والربع من قلم سوى بريه
وعلى الكواغد رابع الاسباب[١٣]

٢ ـ المادة التى يكتب عليها :ـ

لقد كتب الخط العربى على مواد كثيرة فى العصر العباسى منها الورق ، الخشب ، الزجاج • الرخام • الجص • النسيج ••• الخ حيث انه كان أهم عنصر من عناصر الزخرفة الاسلامية ولا يسعنى فى هذه المقالة الا توضيح مادة واحدة من هذه المواد وهى الورق وكيفية تهيأته عند الكتابة عليه فى ذلك العصر •

اهتم الخلفاء العباسيون بصناعة الورق حتى أصبح للورق فى أيامهم أنواع كثيرة • ويعد الورق البغدادى وورق ترمة من الانواع الجيدة فى ذلك العصر •

وتمر الورقة بمراحل عديدة عند تهيأتها للكتابة •

فالمرحلة الاولى هى [الصقل] : وذلك بوضع الورقة على مرمرة ناعمة ويدلك وجهها بقطعة المحار ثم تقلب لصقل وجهها الثانى • ويجب أن يكون الصقل بطيئا لكى لا تحمى الورقة بالدلك وتجف وتكون بذلك سهلة الكسر وغير صالحة للكتابة • والصقل يزيد الورقة تماسكا ولمعانا •

أما المرحلة الثانية فهى [تسطير الورقة] ويتم ذلك بأخذ ورقة سميكة غير الورقة المراد تسطيرها ، وتقسم تلك الورقة الى أقسام متساوية ومتوازية ثم تحزم تلك الخطوط المتوازية بخيوط تأخذ شكلا متوازيا من وجه الورقة المسطرة (أى انها تنطبق على الخطوط المتوازية للورقة) • أما الوجه الثانى فتكون فيه الخيوط غير متوازية • ثم توضع الورقة المراد تسطيرها على وجه الورقة ذات الخيوط المتوازية ويبدأ بالضغط على سطح الورقة بمسطرة

---

(١٣) ص ٧٦ حكمة الاشراق مرتضى الزبيدى •

عاجية • بالطريقة هـذه تطبع تقسيمات الخيوط على الورقة المراد تسـطيرها وبذلك تصبح الورقة مسطرة يكتب على وجهيها •

وهناك بعض المواد التى تضيف لونا للورقة أو تزيد لمعانها ونعد منها :ـ

١ ـ الحنة :ـ تمسح الورقة بماء الحنة الصافى لكى يكون لونها مائلا الى الاحمر ويتم ذلك قبل الصقل والتسطير •

٢ ـ صفار البيض :ـ تمسح الورقة بصفار البيض المخلوط بالبودرة البيضاء والماء مع ٢٠٪ من الصمغ العربى ليكون لونهـا أصفر وتصبح ناعمة بعد صقلها •

٣ ـ البودر الابيض :ـ تمسح الورقة به بعد خلطه بالصمغ العربى وبعد جفاف الورقة يتم صقلها •

أما اذا أراد الكاتب أن تكون الورقة أكثر قوة ولمعانـا فانه يقوم حينئذ [بشميع الورقة] بعد صقلها وذلك بأن يدحرج الشمعة على الورقة عدة مرات ثم يشرع بعد ذلك بالتسطير •

ولا يزال بعض خطاطينا فى الوقت الحاضر يستعملون هذه الطرق فى تهيأة أوراقهم للكتابـة ، ومنهم الخطاط هاشـم حيث نى رأيت لديـه بعض مخطوطا ته الجميلة وكانت أوراقها مصبوغة بالحنة وبصفار البيض •